بليلة وتمر هندي

أخذتني صديقتي الإماراتية التي تعرفت بها في ملتقى ثقافيٍّ سابق إلى القرية العالمية بدبي، وهي لمن لا يعرفها تجمعٌ تجاريٌّ كبير، به أسواقٌ مصغرة مستقلة لعددٍ كبير من بلاد العالم يعج كل منها بما صخب من موسيقاه..

من اسبانيا اشتريت مروحةً سوداء، ومن فلسطين دقة فلسطينية، ومن لبنان لبنة بنكهة البيتزا، ومن تونس زيت زيتون.. تلك الأطعمة التي وجدت لها مكاناً على مائدتنا الخليجية لأن عالمنا هذا عالم صغيرٌ به كثيرٌ من الحميمية.. من بعيدٍ اجتذبني صوت بائع شراب التمرهندي وهو ينادي بحِمله وكؤوسه أمام السوق السورية: "برّد على قلبك"، وعلى أحد الجوانب يدلّل بائع البليلة بليلته بأسماء مرحةٍ ليُغري بها المشترون..

هفا قلبي لبلدٍ خشيت حقاً أن تغيب ملامحه بعد الفتنة التي تحصد أهله منذ ثلاث سنين فابتسمت لهذه النداءات المرحة بألبستها التراثية.. إنها حارة من حارات الشام.. يبدو أن الإنسان حقاً يحمل بلده وتراثه وتاريخه داخله.. يحمله أينما ذهب.. أي أن سوريا عندما تستقر بإذن الله ستعود كما كانت قبل أن تمزقها الجراح.. ستعود أسواقها بباعتها المتجولين، الصبورين، اللحوحين.. و.. المحتالين أحياناً إن استطاعوا.. مثل بقيّة التجار في القرية العالمية الذين يكادون يجذبون ملابسك

لتتوقف عندهم، لتذوق عيّنات ساندويتشاتهم، لتشرب عصائرهم الغريبة، لتبتاع تحفهم، لتسمح لهم بأن يحتالوا عليك قليلاً..

أطرف محاولة احتيال جاءت من السوق الفلسطينة إذ وقفت البائعة اللطيفة تحاول بيعي شيئاً بخمسين درهما إماراتياً مع وعدٍ بأن تخصم من السعر إن اشتريت اثنين أو أكثر، وعندما أخذت اثنين، نسِيَت أنها أخبرتني أن السعر خمسين درهماً فطلبت مائة وعشرين!

خرجنا بعد ساعةٍ ونصفٍ من ذلك الصخب وأخذت صور القرية تبهت في ذهني.. إلا صورة بائع التمر هندي وبائع البليلة...

دلال خليفة

نشر في الملحق الثقافي لجريدة الشرق القطرية بتاريخ ٢٠١٣/١٢/١٥م.